

المحاضرة الأولى

الاتساق والانسجام

تمهيد

في واقع الأمر هناك العديد من المعايير التي تعمل على بناء النص الشعري وتماسكه باعتباره وحدة لغوية دلالية مترابطة منسجمة. ويعد دي جراندي من أوئل الذين حددوا بدفقة معايير النصية بحيث جاءت شاملة لكل تعاريف النص على اختلافها، وقد ضمن ذلك كتابه " النص الخطاب والإجراء، إذ يقول " وأنا أقترح المعايير التالية لجعل النصية أساساً مشروعاً لإيجاد النصوص واستعمالها". وأما هذه المعايير فهي :

- الاتساق
- الانسجام
- المقصدية
- المقبولية
- السياق
- التناص

وسنقف من هذه المعايير على معياري الاتساق والانسجام نظراً لعلاقتها المباشرة بتماسك النص . فالنص ليس تتابعاً عشوائياً لألفاظ وجمل، وإنما هو بنية منظمة مهيكلية تتألف من عدد من العناصر تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر وتسهم الروابط التركيبية النحوية والروابط الدلالية وأساليب الربط والإحالة الاستبدال المختلفة في تحقيقها، مما يسمح لنا بأن ندركه كلاً مترابطاً لا أجزاء متفرقة.

وعلى ذلك فالتماسك النصي يتحقق عن طريق أدوات تظهر مباشرة على سطح النص مثل أدوات الربط والعطف وأسماء الإشارة والموصولات تضمن استمراريته في ظاهر النص (الاتساق) أو عن طريق علاقات معنوية بين عناصر النص تضمن استمراريته من خلال بنيته العميقة فيما يعرف بالانسجام.

الاتساق

الاتساق في اللغة من الوسق وهو ماخل فيه الليل وما ضم ، يقول ابن منظور " اتسقت الإبل واستوسقت، اجتمعت، وقد وسق الليل واتسق، وكل ما انضم فقد اتسق، والطريق يأتسق ويتسق ينضم،...واتسق القمر، استوى...وفي التنزيل " فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق، والقمر وما اتسق "، ومن ه فإن الاتساق من معانيه الجمع والضم والاستواء.

أما الاتساق اصطلاحا فهو الكيفية التي يتحقق بها التماسك النصي بترابط عناصره . وقد أكد دي بوجراند ودرسلر أن الاتساق يتعلق بالطرق التي تترابط بها المكونات في سطح النص داخل تتابع أي الكلمات الفعلية التي نسمعها أو نراها فهو إذن مدرك بالحواس. ويؤكد هاليداي أن النص وحدة دلالية ترتبط أجزاؤها معا بواسطة أدوات ربط صريحة ظاهرة أو مفاتيح داخلية تبين كيف تتماسك أجزاء النص معا. وهذه المفاتيح هي الوسائل النحوية والمعجمية التي يستخدمها المتكلمون أو الكتاب ويتوقعها السامعون أو القراء لبيان ترابط الجمل مع بعضها البعض. ومن ثم فالالاتساق ذو طبيعة أفقية خطية تظهر على مستوى تتابع الكلمات والجمل ويتحقق من خلال أدوات الربط النحوية. ومن أهم الوسائل التي يتناولها الإحالة القبلية والبعدية، الضمائر، أسماء الإشارة، الوصل، الاستبدال، الحذف، ثم الاتساق المعجمي عن طريق التكرار والتضام.

ويعرفه محمد خطابي بقوله إنه ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/ خطاب يهتم فيه بالوسائل اللسانية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من الخطاب أو الخطاب برمته" وهذ يعني أن الاتساق يرتبط بالعلاقات الشكلية للنص على أنه صفة ناتجة عن وجودها وتحققها.

أهمية الاتساق

يعد الاتساق من المفاهيم الأساسية في الدراسات اللسانية الحديثة وذلك نظرا لأهميته الكبيرة في تحقيق النصية وبلوغ الغاية التواصلية منها، فالكلام لا يكون مفيدا إذا كان مجتمعا مع بضمه البعض دون ترابط لأنه إذا أصبح خاليا من الترابط أصبح كما يقول ابن يعيش في شرحه للمفصل في حكم الأصوات التي حقها أن ينطق بها غير معربة لأن الإعراب لا يستحق إلا بعد العقد والتركيب .

والانساق بذلك من أهم المعايير النصية فهو عنصر جوهري في تشكيل النص وتفسيرهن وإذا أصبح الكلام خاليا من عنصر الانساق أصبح غير واضح وتعلق به الغموضن ولذلك حصر العلماء أهمية الانساق في جعل الكلام مفيدا ووضوح العلاقة في الجملة وعدم اللبس في أداء المقصود وعدم الخلط بين عناصر اتلجملة واستقرار النص وثباته وذلك بعدم تشتيت الدلالة الواردة في النص.

انواع الانساق

هناك ثلاثة أنواع للانساق هي

-الانساق النحوي: ويقوم على استمرار تواجد تلك العناصر النحوية عبر الجمل المتتابعة مما يوجد نوعا من الربط بين تلك الجمل المعتمد على الوظيفة النحوية لتلك العناصر .

- الانساق المعجمي ويقوم على وجود مجموعة من العناصر المعجمية المترابطة على مدار النص مما يعني استمرار القضايا والممعاني التي تثيرها في النص

- الانساق الصوتي يقوم على وجود عناصر صوتية تشيع نوعا من التوحد السمعي بين جمل النص عند القارئ من خلال تكرار نفس المقاطع الصوتية بايقاع منتظم على مسافات ثابتة مما يجعل جمل النص تبدو مترابطة إلا يعد عاملا مساعدا للعوامل الأخرى التركيبية والدلالية والمعجمية في إظهار نصية النص.

د. صلاح الدين مبارك حداد